تمهيد:

لم تكن القضية الفلسطينية حكرا على شعرائها بل أصبحت مسؤولية كل الشعراء العرب في العصر الحديث، فجادت قرائحهم بمئات القصائد التي تؤازر فلسطين، وتشجب الاستدمار الصهيوني، وتشحذ همم الأمة العربية وتدعوها لتضافر الجهود، وتوحيد الصفوف من أجل تحرير أورشاليم، فكيف صور لنا الشعر العربي الحديث والمعاصر فلسطين؟.

1-فلسطين في الشعر العربي الحديث والمعاصر:

لقد حظيت فلسطين باهتمام كبير في الشعر العربي الحديث والمعاصر؛ لأنّها" أرض مباركة مقدسة، مرتوية بدماء الآباء والأجداد وهي أرض الإسراء والمعراج، وقد أخذت مكانتها من وجود المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشرفين بالنسبة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وفلسطين أرض الأنبياء وتاريخها مرتبط بسير الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، وهي من أقدس البلاد وأشرفها، ولهذا لها في قلوب المسلمين جميعا مكانة سامية، كما ظهرت هذه المكانة أيضا عبر التاريخ من خلال حرص المسلمين والعرب على فتح فلسطين عامة والقدس خاصة"[1].

و" بعد حلول المأساة سنة 1948، التي كان وقعها أشد في نفوس الكتاب عامة والشعراء خاصة، فكان من الطبيعي أن ينحو الشعر منحى المعاناة والألم فكثر الحديث عن الحملة على الاستعمار والصهيونية، ووصف حالة البؤس والتشرد التي يعانيها الفلسطيني خارج دياره، والحملة على الملوك والرؤساء العرب، الذين تهاونوا في حق أمتهم وهادنوا الاستعمار،

[1] يوسف سلامة جمعة: إسلامية فلسطين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2007، ص ص 18، 19.

Dr/Hassiba Saker

كما دعوا إلى استنهاض همم العرب، لكي يستعدوا لجولة أخرى ويقدموا على استعادة حقهم السليب في فلسطين"[2].

وبناء عليه أفرزت النكبة جيلا من الشعراء العرب الغاضبين الذين وجدوا في الشعر سلاحا للمقاومة بديلا للعجز العربي، " فانطلقت قصائد النكبة مغمسة بالألم، والدموع تصور بؤس المنكوبين، وشقائهم، وضياعهم، وتقف أمام اللاجئين، لتقص قصة العربي التائه"[3]. ولنا في شعر" خليل زقطان" مثال حي على ذلك حين يقول[4]:

أنا ليس لي وطن ودار طفولتي لم يبق منها الغاصبون معالما

أنا يا ابن شعبي قوة عملاقة ومحار فلسفتي سأبقى ناقما

حتى ترد لنا شظايا أرضنا ونعيش في تلك الربوع أوادما

وبيدع أيضا" خليل زقطان" في قصيدته الموسومة بـ" قسما بجوع اللاجئين" في وصف معاناة اللاجئين، قائلا[5]:

أنا قد صحوت على الجراح تسيل من بعضي لبعضي

أنا قد صحوت وإذا أنا ملقى بأرض غير أرضي

أنا قد صحوت على العروبة تُزدرى جهرا وتغضي

أنا قد نظرت المستجير وإذ به يا قوم عِرضي

[2] حسام الخطيب: ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية، دائرة الثقافة، تونس، ط1، 1990، ص 30.

[3] عماد الضمور: تجليات المعاناة في شعر خليل زقطان، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ،مج 28، 2014، ص 922.

[4] المرجع نفسه، ص ص 925، 926.

[5] المرجع نفسه، ص 926.

Dr/Hassiba Saker

كما نجد أيضا حزنا عميقا يتسم به الشعر الفلسطيني يتضح جليا في ديوان" صوت الجياع" لـ" خليل زقطان"، فيقول[6]:

ويا شعب هذا كتاب الدماء وسفر كوارثك الصادعة

وهذي جراحك تشكو الأساة وتنعى فلسطيننا الضائعة

وكم خلف الغدر مَن لا أب يُعيل ومعدته جائعة

وثائق في قبضة اللاجئين تُدان بها الأنفس الطامعة

وها هو شاعر القضية الفلسطينية" محمود درويش" يحتفي بالتضحية والاستشهاد معتبرهما عرسا لا ينتهي في قصيدة" طوبى لشيء لم يصل"، قائلا[7]:

هذا هو العرس الذي لاينتهي

في ساحة لا تنتهي

في ليلة لا تنتهي

هذا هو العرس الفلسطيني

لا يصل الحبيب إلى الحبيب

إلا شهيدا أو شريدا

[6] المرجع السابق، ص 930.

[7] محمود درويش: الديوان، مج 1، دار العودة، بيروت، ط1، 1996، ص 451.

Dr/Hassiba Saker

وهذا الشاعر" أحمد مطر" يتهم الساسة العرب بضياع فلسطين، والاكتفاء بعقد المؤتمرات التي لا طائلة منها، قائلا[8]:

يا قدس معذرة ومثلي ليس يعتذر

مالي يد فيما جرى فالأمر ما أُمروا

وأنا ضعيف ليس لي أثر

عار على السمع والبصر

والسلم مختصر

ساق على ساق

وأقداح يعرش فوقها الحذر

ويكون مؤتمر

هزي إليك بجذع مؤتمر

أمّا" هاشم الرفاعي" فنجده يحث الشباب العربي على الجهاد، قائلا[9]:

آن الجهاد فأقد أيها البطل وأمسك حسامك وأطعن قلب صهيونا

جاءوا يريدون تقسيما فقل لهم والسيف يسطرهم لن نقبل الهونا

[8] أحمد مطر: المجموعة الشعرية الكاملة، دار الحرية، بيروت، ط1، 2011، ص 27.

[9] هاشم الرفاعي: الديوان، تحقيق: محمد حسن بريغش، مكتبة المدار، الأردن، ط2، 1985، ص339.

Dr/Hassiba Saker

في حين أنّ الشاعر السوري" نزار قباني" يتحدى العدو الصهيوني، ويرفض أن تتكرر مأساة الهنود الحمر في أرض الأنبياء والرسل فلسطين، قائلا[10]:

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر

فنحن باقون هنا

في هذه الأرض التي

تلبس في معصمها إسواره من زهر

فهذه بلادنا،

فيها وجدنا منذ فجر العمر...

الخاتمة:

وصفوة القول أن القضية الفلسطينية شغلت حيزا كبيرا في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ولم تكن حكرا على شعرائها فقط، بل تحدث عنها كل الشعراء العرب، كما تنوعت مضامين القصائد في تصوير القضية الفلسطينية بين مشاعر الغربة واللجوء والحزن والفقر والدعوة إلى الجهاد...الخ.

[10] نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، ج3، منشورات نزار قباني، بيروت، ط6، 2000، ص 167.

Dr/Hassiba Saker